رجال المال والاعمال

روفائيل صليبا

نقلاً عن السائح الممتاز

«كلنا يمثل دوره في هذه الدنيا. وان شئت فقل ان كلنا يتلقن ذلك الدرس الصغير في هذه المدرسة الكبيرة. انت تأخذ ورقة بيضاء فتجعلها صفحة ناطقة بافكارك، مرتعشة بعواطفك. وانا آخذ قطعة من الارض الغبراء فاعدها لان تصير حياً عامراً في مدينة آهلة بالناس. نابضة بكل اياض مدن هذا العصر. وسوانا يفعل غير ذلك لكل سبيله. ولكل حراء»

ذاك كان جواب روفائيل صليبا اذ سألناه عن سبب تعلقه بتجارة الاراضي. وكنا قصدناه لنحدثه وتحدث عنه. لانه اليوم من رجال جاليتنا المعدودين. بل لا تد له بين رجالنا في مشروعه. وفي النجاح الباهر الذي ناله في مدة قصيرة. فلا نظن الجالية السورية في نيويورك عرفت حتى اليوم رجلاً جاءها غريباً عنها وبمشروع تجاري جديد، كما جاءها صليبا، وفي اقل من عام ونصف العام اصبح اسمه معروفاً عند كل سوري في نيويورك وفي كل اقطار الولايات المتحدة. حتى ان الكثيرين ممن لا يعرفونه الا بالاسم يتساءلون عنه — عن مسقط رأسه. عن تاريخ حياته. عن اخلاقه واطواره وشخصيته. عن مقدرته الغريبة في تنظيم اشغاله. عن ثروته. عن مشروعه. الخ الخ

بسطنا كل ذلك امام المستر صليبا ساعة جلسنا واياه في مكتبه وجهاً لوجه وبيننا مائدة كبيرة عليها اكداس من الاوراق والكتب. ومن حولنا جدران ملبسة بالرخام الابيض اللماع وقد نقشت فيه اطارات من الاجر الاخضر تضم خرائط اراضٍ. وصور معامل. ومناظر مختلفة لسد ولسن[1] العظيم. فكنا عند ما ننظر الى محدثنا بعينيه المتقدتين

(١) نهر السي فرع كبير يدعى نهر اوهايو ولهذا الفرع فرع آخر يدعى نهر تنسي ينحدر ١٣٤ قدما في مسافة ٧ اميال من مسيله بين بلدتين في ولاية الاباما ويطلق على البلاد في هذه المنطقة اسم «معمل شرلس» في فيها في الحرب سد من اكبر السدود في العالم ودعي سد ولسن والغرض منه توليد القوة الكهربائية واستعمالها في صنع النترات بتثبيت نتروجين الهواء ثم صنع المفرقعات الحربية منها ولكن وضعت الحرب اوزارها قبل اتمامه فاتجهت النية الى صنع الاسمدة الكيماوية فتقدم هنري فورد وغيره وعرضوا على الحكومة انشاء المعامل هناك وادارتها على شروط معينة فرفضت الحكومة مشاريعهم وقد ثارت حول المسألة من اولها عجاجة سياسية في اميركا اجلت البت في امرها (للمقتطف)

حماسة وطموحاً . ووجهه المملوء عزيمة وثقة بالنفس . ثم الى تلك الخرائط والصور تكاد تلمس فيها آماله . وتبصر فيها عزيمته . وتسمع فيها اصوات الدقائق والساعات والليالي التي صرفها ويصرفها برفقة ما تمثله تلك الاوراق الجامدة الصامتة من الجهاد في حياته

لا نعلم هل كان اسم « صليبا » نسبة الى « الصليب » او « الصليبيين » او « الصلابة » غير انك تبصر في وجه صاحبه وحركاته وتسمع في صوته ارادة صلبة وعزيمة ماضية . وترى في عينيه نفساً طموحاً لا تقنع بأقل مما تطلب . ولا تنام على الاذى . ولا تعرف معنى للفشل . ولا تأنس بالاستكانة . ولا تجد راحة الاَّ في العمل المستمر . ولا لذة الاَّ في تذليل الصعاب . وما حياته حتى اليوم الاَّ شاهد على ذلك

روفائيل صليبا ابن الشيخ موسى حنا صليبا من بتغرين لبنان . ولد في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٨٩ تلقن دروسه الاولية في بتغرين والشوير . وفي الرابعة عشرة من عمره علّم في المدرسة الروسية في بكفتا سنة كاملة . وبعدها هاجر الى هذه البلاد لا بدافع الحاجة بل لان حب الاستقلال والتفوق دفعا به الى عالم ميادين العمل فيه كثيرة وواسعة . وهنا بقي يتنقل من عمل الى عمل ومن بلد الى بلد حتى دخل الميدان الذي هو فيه اليوم . فقد درس ستة اشهر في كلية « وست تنسي » . وسنتين في مدرسة اثلتا الطبيَّة . ثم استقلّ زماناً بنفسه في اثلتا حيث كان يصنع ادوية من تركيبه الخاص . ثم استخدم مدة في شركة صيدلية اميركية كبيرة بنيويورك . ثم تجند في الجيش الاميركي ابان الحرب . وبعد تسريحه في اواخر سنة ١٩١٨ عاد الى برمنهام (اميركا) وهناك انشأ لنفسه معملاً كيماوياً ولم يكن لديه من رأسمال الاَّ اقدامه وثقته بنفسه ومبلغ من المال لا يذكر

وكان في ذلك الوقت يراقب نموّ برمنهام العجيب ويسمع بالارباح الطائلة التي يجنيها الناس من بيع الارض وشرائها . فباع معمله لشركة اميركية واخذ ما توفر لديه من المال وبدأ يتاجر بالارض . وهو الى اليوم من ابناء الارض الذين يحولون خرابها الى عمار . ويجعلون قفرها آهلاً بالناس والعمران . ومن سمعته يحدّث عن شغفه بهذا النوع من العمل تثبت له ان الرجل قد وجد ميدانه . وانه من فرسان ذلك الميدان . ففي خلال ست سنوات جمع ثروة لا يستهان بها . وفي على ازدياد . وتفرعت اشغاله واتسعت دائرة اعماله فهو عداعن انه كنرد ، يعد اليوم اكبر ملاك في مصل شولس تراه يرأس ثلاث شركات عقارية في برمنهام . وفي الوقت نفسه يهتم باملاك واسعة له في تلك المدينة

اما دوائر اعماله الرئيسية فهي في برمنهام ومصل شولس ونيويورك ولها فروع في مدن اخرى

انك لتظن ان من كانت هذه اشغاله لا يجد وقتاً ، كما يقال ، حتى لحك رأسه . الأ ان روفائيل صليبا لا يعدم وقتاً يخصصهُ للشؤون الاجتماعية والمدنية ، فهو عضو في جمعيات سياسية وتجارية ومدنية وجماعات سرية كالماسونية وسواها

هنا اترك محدثي يحدث عن نفسه :

« ان من لا يعرفني يظن ان لا مقصد لي من عملي الأ ربح المال ، نعم انني اهتم بربح الاموال لاعتقادي اننا — كما يقول المثل الانكليزي — « ما زلنا في رومية فلنعمل ما يعملهُ الرومان » . نحن في اميركا . والريال في هذه البلاد هو البيبورت الى كل شيء هو بيبورتك الى المدارس والمتاحف والاندية الاجتماعية والسياسية . والى الاستقلال المادي الذي يساعدك على استثمار مواهبك الروحية . بل هو بيبورتك الى قلوب الناس الذين تود ان تنفعهم وتنتفع بهم

« غير انك لو سألتني عن ملذاتي في الحياة لاجبتك ان لذة جمع المال هي اقلها . فاكبر ملذاتي هي عائلتي . وتليها ملذة التغلب والوصول الى الحجات التي اقيمها لنفسي . فكلما بعدت هذه الحجات وشق الوصول اليها ازدادت لذتي في بلوغها . ثم اني اطرب كل الطرب عند ما اربح المال لغيري . وهذه قاعدتي في شغلي : اربح وربح

« شاركت مرة سيوفيًا في برمنهام على قطعة ارض . فلما انتهيت من بيعها وحسب شريكي ارباحهُ اصبح يحلف باسمي . وهو اليوم يقول لكل من يسألهُ عني : لو طلب مني صليبا آخر بارة مني لاعطيتهُ اياها بدون سند . ولعل اكبر تبعة اشعر بها هي تبعتي تجاه من يبتاعون مني ارضاً . فانا اداًب النهار واسهر الليل اتفق قوة دماغي واقطر دم قلبي لاكفل لكل مشترٍ كل بارة دفعها بل لاكفل لهُ ارباحاً اكثر مما ينتظر

« بعض الناس — وبالاخص السوريين منهم — الذين ابتاعوا من ارضي في مصل شولس لقد ربحت من اموالهم . غير انهم لا يعرفون ان ارباحي تكون علقاً في فمي ما لم أعد اليهم اضعاف اضعاف اموالهم . الأ انني مطمئن البال من هذا القبيل . لانني اعرف ما هي مصل شولس . واعرف ما سيكون مستقبلها . اذكر كلامي : ان مصل شولس ستصير كشيرين ارباب ملايين . واكثرهم سيكونون من الذين اشتروا الارض ويشترونها . لان الذين يبيعونها اليوم . فتأسف معي اذ ليس لي لسان من نار ولا صوت

من رعد لاوصل هذه الحقيقة الى كل اذن سورية . وكل فكر سوري . « ان ابواب الكسب كثيرة في هذه البلاد . غير ان اوسعها واضمنها واقربها هو باب الارض التي هي اصل كل ثروة

« فمعدل ما يباع من الارض سنوياً في هذه البلاد يبلغ ثمنهُ التسعة والثلاثين بليوناً من الريالات وتسعة عشر بليوناً منها في ارياح . فتأمل

« تسمع البعض يقولون : نعم لمصل شولس مستقبل باهر ، الاَّ ان مستقبلها في يد السياسيين . وحولها كثير من التحاسد والمناورات السياسية . فلا يعلم احد متى تدور معامل الحكومة هناك . بل قد لا تدور ابداً . وانا اقول (وضرب على الفائدة) ان الاحزاب السياسية والشركات التجارية الكبيرة من درجة هنري فورد وما دون لا تتقاتل على عظمة

« ان الامور التافهة لا توجب تحاسداً ومباراة . ولولا اهمية مصل شولس في حياة الامة الاميركية كلها لما اهتم بها السياسيون هذا الاهتمام . ولما كان حولها هذا التحاسد ولا هذه المضاربة من قبل الشركات الصناعية الكبيرة

« من لا يعرف طوية المسألة يقول ان معامل مصل شولس قد لا تدور . اما من يعرفها مثلي . ويسمع اصوات الفلاحين تلح طالبة تدويرها لصنع السماد الكيماوي وصوت رئيس البلاد يلح بتدويرها . واصوات الشركات الصناعية التي تسابق لاستئجارها من الحكومة . فيقول ما قالهُ غليليو يوم حاولوا ان يردوهُ عن ندائهِ بدوران الارض « مع ذلك تدور »

« نعم . مع ذلك ستدور معامل مصل شولس . بل اقول اكثر من ذلك . انك لو هدمت معامل مصل شولس حتى آساسها لظل في تلك البقعة الغنية بمعادنها وبالقوة الكهربائية فيها وبعزيمة سكانها ما يكفل نموها وتقدمها المستطرد ، فمن لا يعرف سرعة نمو هذه البلاد وولاياتها الجنوبية بنوع خاص لا يعرف كيف يستثمر سوانح كالتي في مصل شولس

« والآن دعنا من مصل شولس . فهي معي الليل والنهار . وهات اخبرني شيئاً عن الحركة الادبية هنا وهناك . او اتحفني بقصيدة او بنكتة . فقد كدت انسى العربية مع اني من عشاقها . ولا ازال اذكر آيات واياتاً عربية لا اعرف لها نظيراً في غير العربية »

وتنوع حديثنا وطال . وطال صف المنتظرين مقابلة محدثي . وكثرت قرقعة التلفون . فاستأذنت وودعتهُ وهو يتمنى النجاح « للسائح » ولمنازعه . وانا اتمنى لهُ النجاح في مشاريعهِ ومساعيهِ